رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَةَ

المسيحي والناموس (رومية ٧: ١-١٤)

تأليف: دفيد روبر

الأصحاح السادس من الرسالة إلى أهل رومية هو عن علاقة المسيحي بالخطيئة كما ذكرنا سابقاً بينما يتعامل الأصحاح السابع من هذه الرسالة بعلاقة المسيحي بالناموس. كتب جون آر دبليو ستوت بخصوص الأصحاح السابع قائلاً أن «كلمة ناموس أو وصية وردت في كل آية من الآيات الأربع عشرة الأولى من هذا الأصحاح، أي حوالي خمس وثلاثين مرة في رومية ٧: ١ إلى ٨: ٤»[١]. يمكن إجراء التطبيق على ناموس {شريعة/قانون/دستور} بصفة عامة، ولكن بولس ركز على ناموس موسى (راجع ٧: ٧).

اعتبر اليهود الناموس «عطية الله الأسمى»[٢]. كتب الملك داود: «نَامُوسُ الرَّبِّ كَامِلٌ يَرُدُّ النَّفْسَ. شَهَادَاتُ الرَّبِّ صَادِقَةٌ تُصَيِّرُ الْجَاهِلَ حَكِيمًا» (المزمور ١٩: ٧). ولكن في رسالته إلى أهل رومية قال بولس عبارات عن الناموس كالتالية:

... بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ كُلُّ ذِي جَسَدٍ لاَ يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ ... (٣: ٢٠).

... النَّامُوسَ يُنْشِئُ غَضَبًا ... (٤: ١٥).

... النَّامُوسُ فَدَخَلَ لِكَيْ تَكْثُرَ الْخَطِيَّةُ ... (٥: ٢٠).

... لَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ (٦: ١٤).

ربما بدى لقراء بولس اليهود أن بولس كان يرفض أعظم عطية قدمها الله لهم. لقد حان الوقت لبولس كي يقوي ويوضح كلامه بخصوص الناموس. وقد فعل ذلك في الأصحاح السابع.

في هذا الدرس سننظر مرة أخرى في العبارات الرئيسية في الآيات ١ إلى ٦. ثم نركز على الآيات ٧ إلى ١٤. وبعد أن نغطي هذا النص سيعطي الدرس تطبيقاً لمسيحي اليوم.

عبارات ملائمة عن النص

ما هي علاقة المسيحي بالناموس؟

بدأ بولس الأصحاح السابع بالقول أن «... النَّامُوسَ يَسُودُ عَلَى الإِنْسَانِ مَا دَامَ حَيًّا؟» (الآية ١). وقد أوضح كلامه بمثال الزواج: فَإِنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي تَحْتَ رَجُل هِيَ مُرْتَبِطَةٌ بِالنَّامُوسِ بِالرَّجُلِ الْحَيِّ. وَلَكِنْ إِنْ مَاتَ الرَّجُلُ فَقَدْ «تَحَرَّرَتْ» ويحق لها شرعاً أن تتزوج مرة أخرى (الآيتان ٢ و٣). الكلمة اليونانية المترجمة هنا إلى «تحررت» هي من «كاتارغيو καταργέω». قال ليون موريس إن «كاتارغيو» هي كلمة قوية وتعني «أن يبطله ويلغيه تماماً»[٣].

أعطى بولس التطبيق: «إِذًا يَا إِخْوَتِي أَنْتُمْ أَيْضًا قَدْ مُتُّمْ لِلنَّامُوسِ بِجَسَدِ الْمَسِيحِ، لِكَيْ تَصِيرُوا لآخَرَ، لِلَّذِي قَدْ أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ ...» (الآية ٤). ههنا أول عبارة رئيسية من قبل بولس بخصوص علاقتنا مع الناموس:

---

[١] جون آر دبليو ستوت في تفسيره بعنوان «The Message of Romans: God's Good News for the World» من سلسلة «The Bible Speaks Today series»، صفحة ١٨٦.

[٢] جيمس آر إدوارد في تفسيره بعنوان «Romans» من مجلد «New International Biblical Commentary»، صفحة ١٨٦.

[٣] ليون موريس في تفسيره بعنوان «The Epistle to the Romans»، صفحة ٢٧١.

متنا للناموس «بِجَسَدِ الْمَسِيحِ». حدث الموت عندما قادنا إيماننا إلى التعميد إتحاداً بموته (٦: ٣).

بعد ذلك تحدث بولس عن الكيفية التي كانت بها الحياة قبل الموت للناموس: «لأَنَّهُ لَمَّا كُنَّا فِي الْجَسَدِ كَانَتْ أَهْوَاءُ الْخَطَايَا الَّتِي بِالنَّامُوسِ تَعْمَلُ فِي أَعْضَائِنَا، لِكَيْ نُثْمِرَ لِلْمَوْتِ» (٧: ٥). لم يكن هدف الناموس إثارة أَهواء الخطايا. كان الهدف من الناموس هو للكشف عن الخطيئة وتحديدها، ولتشجيع الناس لنزع الخطيئة من حياتهم. ومع ذلك كانت إحدى نتائج الناموس هي لقد أثار أهواء الخطايا. قدم بولس في الآيات ٨ إلى ١٣ مثالاً لإثارة الناموس للشهوة في قلبه.

كيف أثار الناموس الخطيئة؟ ههنا بضع اقتراحات (مع انها متداخلة). أولاً، الناموس يلفت الانتباه إلى الخطيئة. إذا قلتُ لك: «لا تفكر بالفيل»، فأنت تفكر به حالاً. ربما لا تكن قد فكرت بفيل منذ أيام، أو أسابيع أو حتى شهور أو سنين؛ ولكن حالما قلتُ لك «لا تفكر عن الفيل»، يكون هذا ما تفكر به. قرأتُ ذات مرة عن رجل كان يعترض وضع ملصق يحمل قائمة بالوصايا العشر. إذ قال: «انه يجعل الناس يفكرون بأشياء كثيرة جداً»[٤]. هناك قيمة في وضع كلمة الله أمام عيوننا (راجع حزقيال ٣٧: ٢٠)، ولكن ربما كان ذلك الرجل على صواب بخصوص الوصايا التي تبدأ بالنفي «لا ...» إذ انها «تضع أفكار» في ذهن بعض الناس.

ثانياً، قد يضيف التحريم جاذبية معينة إلى الشيء المحرم. عندما نرى لافتة مكتوب عليها «ممنوع الدخول» نكون فضوليين، نريد أن نستطلع عن السبب الذي جعل «الدخول ممنوعاً». وعادة ما توضع مثل هذه اللافتة من أجل المحافظة على سلامتنا، ولكننا نتساءل هل هناك شيء ما وراء اللافتة يمنعنا شخص ما من الحصول عليه. المثال الأمثل على ذلك هو المنع من الأكل من شجرة معرفة الخير والشر (تكوين ٢: ١٦ و١٧؛ ٣: ١-٥).

ثالثاً، عندما يقال لنا أن لا نعمل شيء ما، يستجيب الكثيرون منا بعناد مما يجعلنا نريد أن نعمل ذلك الشيء عينه. ربما لم تكن لدينا مثل هذه الرغبة من قبل، ولكن تصبح لدينا الرغبة بالشيء حالما يتم حرماننا منه. خذ على سبيل المثال اللافتة التي تحمل عبارة مثل: «طلاء لين. ممنوع اللمس». ربما لا يرغب أحد في لمس شيء تم طلاءه قبل وضع تلك اللافتة؛ ولكن حالما توضع تلك اللافتة، تبدأ البصمات في الظهور على ذلك الطلاء الجديد.

أخيراً، يشعر البعض بالبهجة أو حتى الاحساس بالقوة عند التمرد على السلطة. عندما كانت المرأة الفاسدة المذكورة في سفر الأمثال تحاول إغراء الشباب، تهمس قائلة: «الْمِيَاهُ الْمَسْرُوقَةُ حُلْوَةٌ ...» (أمثال ٩: ١٧). لو لم تكن هناك سلطة لِمَا كان هناك متمردون؛ لهذا قد يقال بمفهوم ما أن السلطة تثير التمرد.

كان بولس يعرف هذه الميول البشرية، قال: «... كَانَتْ أَهْوَاءُ الْخَطَايَا الَّتِي بِالنَّامُوسِ تَعْمَلُ ...» (رومية ٥). قال: «وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ تَحَرَّرْنَا مِنَ النَّامُوسِ ...» (الآية ٦). كلمة «تحررنا» هنا هي من الكلمة نفسها التي تُرجمت إلى «تحررت» في الآية ٢ حيث قيل أن المرأة تتحرر من ناموس الرجل عندما يموت زوجها. تشير هذه الكلمة إلى انه قد أُبْطِلَت علاقة قديمة وأُلْغِيَت.

قال بولس: «... فَقَدْ تَحَرَّرْنَا مِنَ النَّامُوسِ، إِذْ مَاتَ الَّذِي كُنَّا مُمْسَكِينَ فِيهِ ...» (الآية ٦). تشير عبارة «الَّذِي كُنَّا مُمْسَكِينَ فِيهِ» إلى الناموس. تحدث بطرس عن «نِيرٍ ... لَمْ يَسْتَطِعْ آبَاؤُنَا وَلاَ نَحْنُ أَنْ نَحْمِلَهُ» (أعمال ١٥: ١٠). متى وكيف مات الناس لذلك الـ«نير» الذي كانوا ممسكين فيه؟ تقول الآية ٤ انهم قد ماتوا «لِلنَّامُوسِ بِجَسَدِ الْمَسِيحِ {المصلوب}» (رومية ٧: ٤). وبعد ذلك أصبحوا أَحراراً ليكونوا جزء من عروس المسيح، أي الكنيسة كما وضعنا التوكيد على ذلك في درسنا السابق.

أهذا يعني أن الناموس غير صالح؟

كان بولس يدري تماماً أن ما قاله قد يسبب قلقاً وخاصة لقُرَّاءه اليهود. لهذا سارع يفسر ويوسع ما قد قاله بخصوص الناموس. لقد استخدم هنا أسلوب السؤال والجواب مرة أخرى. واستهل بالسؤال التالي:

---

[٤] مأخوذ من أف أف بروس، في تفسيره بعنوان «The Letter of Paul to the Romans» من سلسلة «The Tyndale New Testament Commentaries»، صفحة ١٢١.

«فَمَاذَا نَقُولُ؟ هَلِ النَّامُوسُ خَطِيَّةٌ؟ ...» (الآية ٧). ورد بالأصحاح السادس عدة مرات أن الذين كتب إليهم بولس كانوا قد ماتوا عن الخطيئة (٦: ٢، ٧، ١١). وقال الأصحاح السابع مرتين انهم ماتوا للناموس (٧: ٤، ٦). هل كان بولس بهذا يساوي «الخطيئة» بـ«الناموس»؟ كانت إستجابته لمثل هذه الفكرة حازمة ومؤكدة: «حَاشَا!» (الآية ٧).

استمر بولس بوضع التوكيد على أن الناموس لم يكن خطيئة ولم ينتج خطيئة بحد ذاته. بل ما عمله هو الكشف عن الخطيئة. قال بولس: «... بَلْ لَمْ أَعْرِفِ الْخَطِيَّةَ إِلاَّ بِالنَّامُوسِ ...» (الآية ٧). كان قد قال سابقاً: «... بِالنَّامُوسِ مَعْرِفَةُ الْخَطِيَّةِ» (٣: ٢٠).

لاحظ التغيير من صيغة الجمع إلى صيغة المفرد في ضمير المتكلم في الآية ٧. استخدم بولس صيغة المتكلم المفرد في أغلب الأحيان من هذه النقطة وحتى نهاية هذا الأصحاح. كان حديثه بصفة شخصية جداً.

هناك جدل ليس بقليل في الأصحاح السابع من الرسالة إلى أهل رومية عن صيغة المتكلم المفرد في كلمة «فإنني») الوارد في الآية ٧. عندما نتبنى سؤال الخصي الحبشي، نقول: «عن من يقول بولس هذا؟عن نفسه أم عن واحد آخر؟» (راجع أعمال ٨: ٣٤). قال موريس انه «لا شك انه من المستحيل أن ننكر أن بولس لم يكن يتكلم عن نفسه في ما قاله. استمر باستخدام صيغة المتكلم المفرد مع انه لم يفعل هذا منذ بداية هذه الرسالة»[٥]. الطريقة الأبسط والأكثر طبيعية ووضوحاً لتفسير كلام بولس هو باعتباره إشارة إلى اختبارات شخصية[٦]. هذا لا يزيل الاحتمال انه كان يقصد أيضاً أناس آخرين. ما كان يفعله بالعادة، قد يفعله آخرون أيضاً.

عند الاعتبار أن بولس كان يتكلم عن نفسه، بعد ما قال أنه «لم يعرف الخطية إلا بالناموس»، قدم مثال معيناً قائلاً: «... فَإِنَّنِي لَمْ أَعْرِفِ الشَّهْوَةَ لَوْ لَمْ يَقُلِ النَّامُوسُ: لاَ تَشْتَهِ» (الآية ٧). الوصية عن الشهوة هي الوصية العاشرة من الوصايا العشر (خروج ٢٠: ١٧).

الكلمة اليونانية المترجمة إلى «شهوة» في رومية ٧: ٧ هي من كلمة مركبة معناها «رغبة» («إپيثوميا ἐπιθυμία»). انها في العهد الجديد تشير عادة إلى رغبة شريرة («شهوة»؛ رومية ١: ٢٤). قال ف. ف. بروس انها تشير بصفة عامة إلى «الرغبة في الاهتمام بالذات إلى حد يغتصب المكان الذي يجب أن يحتله الله وحده في نفس الإنسان»[٧]. لم يقتبس بولس هذه الوصية كلها من سفر الخروج. لم يكن يهتم بالشيء المشتهى بقدر ما كان يهتم بالمفهوم العام عن الرغبة المفرطة لأي شيء آخر غير الله.

الوصية بعدم الشهوة كانت أنسب بالنسبة للحُجَّة التي كان يقدمها. أولاً، كانت تلك الوصية الوحيدة الموجهة إلى القلب بصفة خاصة. يمكن إطاعة الوصايا الأخرى (ظاهرياً على الأقل) بأفعال ظاهرية، ولكن ليست هذه الوصية.

علاوة على ذلك، كانت تلك هي الوصية المصممة لمكافحة مصدر كل خطيئة: الأنانية. يقال أن اشتهاء ما للغير هو عكس المحبة. الشهوة شيء أناني، بينما المحبة «لاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا» (١ كورنثوس ١٣: ٥). إشتهاء ما للغير هو نية للحصول على شيء، بينما المحبة تتركز على العطاء (راجع يوحنا ٣: ١٦).

علاوة على ذلك، هذه الوصية تتعامل مع إحدى الخطايا الأكثر إضلالاً (راجع رومية ٧: ١١). إن لم يتم إرشاد الشخص عما هي الشهوة والمخاطر التي تحتويها، قد يظن انها شيء «طبيعي» و«عادي». أليس من الطبيعي أن يرغب الشخص في أشياء؟

كشف الناموس لبولس تعريف وطبيعة الشهوة؛ انه يصف الشهوة بانها خطيئة. أهل هذا جعله يشتهي؟ كلا، الوغد هنا ليس الناموس، بل الخطيئة – كما أشار بولس إلى ذلك سريعاً: «وَلكِنَّ الْخَطِيَّةَ وَهِيَ مُتَّخِذَةٌ فُرْصَةً بِالْوَصِيَّةِ أَنْشَأَتْ فِيَّ كُلَّ شَهْوَةٍ ...» (آية ٨). تم تصوير «الخطيئة» هنا وكأنها شخص وسيط يغرينا

---

[٥] ليون موريس في تفسيره بعنوان «The Epistle to the Romans»، صفحة ٢٧٧.

[٦] هناك بعض المشاكل بما يختص بهذا الموقف، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالجزء الأخير من هذا الأصحاح، وسنتحدث عنها في الدرس القادم.

[٧] مأخوذ من أف أف بروس، في تفسيره بعنوان «The Letter of Paul to the Romans» من سلسلة «The Tyndale New Testament Commentaries»، صفحة ١٤٠.

لكي نتمرد على الله. ولكننا نعرف الذي يغرينا هو إبليس (راجع أفسس ٦: ١١؛ ١ بطرس ٥: ٨)، ولكن كان هدف بولس هو إجراء التباين بين «الناموس» و«الخطيئة» (الآيات ٧، ١٢، ١٣). هكذا ركز {بولس} على ما تعمله الخطيئة.

الوصية بعدم الشهوة لم تجعل بولس يشتهي، ولكن الخطية انتهزت فرصة بالوصية لتثير شهوة. استخدم بولس هنا مصطلح عسكري ليعكس الحرب الروحية التي نقاتل فيها (راجع أفسس ٦: ١٠-١٣). تُرجمت كلمة «فرصة» هنا مأخوذة من الكلمة اليونانية «أفورمه ἀφορμή» التي تدل على «نقطة البداية»؛ كانت «تُسْتَخْدَم للإشارة إلى قاعدة عمليات حربية». ما أراد بولس توضيحة في رومية ٧: ٨ و١١ هو أن «الناموس وفر للخطيئة قاعدة عمليات للهجوم على النفس»[٨].

هاجمت الخطيئة بولس مستخدمة الناموس كـ«قاعدة عملياتها» وأثارت فيه «كُلَّ شَهْوَةٍ». لم يشتهي ما لقريبه فحسب، بل اشتهى أيضاً شتى أنواع الأشياء. هكذا استغلت الخطيئة الناموس لأغراضها الخاصة.

كيف فعلت الخطيئة هذا؟ ذكرنا فيما سبق بعض الاحتمالات بخصوص الكيفية التي أنشأ بها الناموس شهوات شريرة: لقد لفت الانتباه إلى الخطيئة؛ أضفى على الخطيئة جاذبية خاصة؛ وأثار شعور دائم بالتمرد؛ هو يناشد الرغبة في البعض للاعجاب بالـ«خطر». ولكن لا يجب التفكير بان مجرد وجود الوصية يفعل كل هذا تلقائياً. كلا، توجد وراء الكواليس خطيئة (إبليس) مستخدماً الوصية لتؤدي إلى هذه النتائج. على سبيل المثال، عندما جاءت الحية (إبليس؛ ٢ كورنثوس ١١: ٣) إلى حواء لفت انتباهها أولاً إلى وصية الله (تكوين ٣: ١). مشيرة إلى أن الله لم يكن عادلاً، وبانه كان يحاول أن يمنع آدم وحواء من شيء مرغوب فيه (الآيتان ٤ و٥). قدمت الحية العصيان بشكل جذاب (الآيتان ٥ و٦). وكانت النتيجة التمرد (الآية ٦).

لنرجع الآن إلى النص الذي نحن بصدده: «... لأَنْ بِدُونِ النَّامُوسِ الْخَطِيَّةُ مَيِّتَةٌ» (الآية ٨). بما أن «الْخَطِيَّةُ هِيَ التَّعَدِّي» (١ يوحنا ٣: ٤)، إذا لم يكن هناك ناموس، لم يكن هناك خطيئة. «لا يمكن انتهاك الناموس غير الموجود». نستعين بجنة عدن مرة أخرى كمثال جيد على هذا. إن لم يعطي الله إرشادات لآدم وحواء لما كان للحية (إبليس) أي أساس يجربهما عليه.

استمر بولس في حديثه قائلاً: «أَمَّا أَنَا فَكُنْتُ بِدُونِ النَّامُوسِ عَائِشًا قَبْلاً ...» (الآية ٩). المفسرون متحيرون متى كان بولس «بدون الناموس عائشاً». والمشكلة هي ان أكثرهم يؤيدون الاعتقاد الخاطيء بان الأطفال مولودين وهم ملطخين بخطيئة آدم بطريقة ما. أما بالنسبة للذين يقبلون موقف الكتاب المقدس بان الأطفال لا يرثون خطيئة آدم، يجدون طريقة بسيطة لفهم هذا النص: كان بولس مثل جميع الأطفال، مولوداً طاهراً ومقدساً («حياً» لله)، لم تكن له أية دراية بالناموس («بدون الناموس»). في ذلك الوقت كانت الخطيئة «ميتة» بالنسبة له، ولكن كان «حياً».

يقول النص بعد ذلك: «... وَلكِنْ لَمَّا جَاءَتِ الْوَصِيَّةُ عَاشَتِ الْخَطِيَّةُ، فَمُتُّ أَنَا» (آية ٩). تعلم بولس الناموس مثله مثل كل الأولاد اليهود (راجع ٢ تيموثاوس ٣: ١٥). وفي نقطة ما من الزمان أصبح له الوعي الاخلاقي فصارت له المسؤولية أمام الله.

> ... لقد بلغ {بولس} مرحلة النضوج عندما تولى مسؤوليته من جانب حفظ الناموس والعمل بوصاياه. لقد قبل نير الناموس كما يعمل الصبي اليهودي المعاصر بشعيرة «بار ميتزوا בר מצוה» {في الثالث عشر من العمر عادة} ويصبح «ابن الوصية»[٩].

قال بولس: «لَمَّا جَاءَتِ الْوَصِيَّةُ عَاشَتِ الْخَطِيَّةُ، فَمُتُّ أَنَا» (رومية ٧: ٩). عندما كان طفلاً، كانت الخطيئة ميتة وهو حياً؛ ولكنه لما بلغ سن المسؤولية، «عَاشَتِ الْخَطِيَّةُ» ومات هو روحياً.

---

[٨] دبليو فاين وميريل ف أنقر ووليم وايت جونيور في معجم «Vine's Complete Expository Dictionary of Old and New Testament Words»، صفحة ٤٤٠.

[٩] ريشارد باتي في تفسيره بعنوان «The Letter of Paul to the Romans» من مجلد «The Living Word Commentary»، صفحة ٩٤.

كان الهدف من «الوصية» هو أن تؤدي إلى الحياة (الآية ١٠؛ راجع لاويين ١٨: ٥؛ رومية ١٠: ٥)، ولكن لم تكن النتيجة هكذا بالنسبة لبولس. قال: «فَوُجِدَتِ الْوَصِيَّةُ الَّتِي لِلْحَيَاةِ {الروحية الدائمة} هِيَ نَفْسُهَا لِي {عندما أخفقتُ في حفظ الوصية} (٧: ١٠) لِلْمَوْتِ {الروحي}».

أهذا يعني انه كان هناك خطأ في الوصية؟ كلا، الوصية نفسها كانت صالحة - ولكن الخطيئة (أي إبليس) استخدمها لأهداف خاطئة: «لأَنَّ الْخَطِيَّةَ، وَهِيَ مُتَّخِذَةٌ فُرْصَةً بِالْوَصِيَّةِ، خَدَعَتْنِي بِهَا ...» (الآية ١١). قال بولس في الآية ٨ أن الخطيئة استخدمت الوصية «كقاعدة عمليات» لتنشأ كل أنواع الشهوة. وفي الآية ١١ استخدم المصطلح نفسه وقال أن الخطيئة استخدمت الوصية لتخدعه.

قال موريس أنه «يوجد دائماً نوع من الخداع في التجربة»[١٠]. إن لم تكن الخطيئة تضلل بخصوص طبيعتها الحقيقية وعواقبها الأخيرة، لما رغب أي شخص في الخطيئة. قال أحد المفسرين أن الخطيئة «مليئة بوعود كاذبة وغش»:

- تعد الخطيئة كل مرة بانها تشبع رغباتك أكثر مما سبق.
- تعد الخطيئة بان أعمالنا ستكون مخفية حتى لا يعرف عنها أحد.
- تعد الخطيئة باننا لن نتعامل بالعواقب.
- تعد الخطيئة بفوائد خاصة: حكمة، معرفة، الاستمتاع.
- تعد الخطيئة بالسلطة والهيبة مقابل التعاوُن.[١١]

بما يختص بخبرة بولس الشخصية، خدعته الخطيئة (إبليس) ليعتقد انه قد يحصل على البر والحياة بحفظ ناموس موسى (فيلبي ٣: ٤-٧)، وأيضاً ليظن بانه كان يخدم الله باضطهاده للمسيحيين (أعمال ٢٦: ٩)، بينما كان يجعل نفسه بذلك أول الخطاة (١ تيموثاوس ١: ١٥)[١٢]. قال بولس في الواقع «قتلتني الخطيئة بالوصية» (رومية ٧: ١١). الخطيئة هي التي قتلته وليس الناموس.

يمكن تلخيص العاقبة التي ذكرها بولس الآتي: (١) لقد كان «حياً» في وقت ما (عندما كان طفلاً). (٢) ثم «جاءت الوصية» عندما تعلم الناموس. (٣) كان القصد من الناموس إعطائه الاستمرار في الحياة. (٤) ولكن الخطيئة استخدمت الناموس لتخدعه. (٥) بعد ما خدعته الخطيئة، انتهك الناموس. (٦) أصبحت النتيجة موت روحي. كان ذلك هو التسلسل في حياة بولس - هكذا الحال في حياة كل شخص بلغ سن المسؤولية.

تعكس هذه قصة آدم وحواء. (١) كانا أحياء قبل ما يحرمهما الله {من شجرة معرفة الخير والشر}. (٢) ثم «جاءت الوصية»: قال الله: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتاً تَمُوتُ» (تكوين ٢: ١٦ و١٧). (٣) كان الهدف من الوصية هو أن تجعلهما يستمران بالحياة: كان باستطاعتهما أن يأكلا من شجرة الحياة طالما هما يطيعان الله. (بعد ما أخطآ، حُرِّما منها {تكوين ٣: ٢١}). (٤) ولكن استخدمت الخطيئة (إبليس) الوصية لخداع حواء (٣: ١-٥؛ راجع ٢ كورنثوس ١١: ٣؛ ١ تيموثاوس ٢: ١٤). (٥) ونتيجة لذلك عصى آدم وحواء أمر الله (تكوين ٣: ٦). (٦) كانت النتيجة هي الموت - الموت الجسدي والروحي (٣: ٢٤؛ ٥: ٥؛ راجع إشعياء ٥٩: ١ و٢).

استعد بولس الآن للخلاصة، إذ قال: «إِذًا النَّامُوسُ مُقَدَّسٌ، وَالْوَصِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ وَعَادِلَةٌ وَصَالِحَةٌ» (رومية ٧: ١٢). إذا قرأت الآيات من ٧ إلى ١٢ بسرعة دون أن تفكر بها كثيراً، قد تأتيك الآية ١٢ لتدهشك. قد يظن

---

[١٠] ليون موريس في تفسيره بعنوان «The Epistle to the Romans»، صفحة ٢٨٣. وُصف إبليس في الأصحاح ١٢ من سفر الرؤيا بانه «الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ» (رؤيا ١٢: ٩؛ راجع ٢ كورنثوس ٢: ١١؛ ١١: ١٤؛ أفسس ٦: ١١).

[١١] بروس بارتون ودفيد فيرمان ونيل ويلسون في تفسيرهم بعنوان «Romans»، من مجلد «Life Application Bible Commentary»، صفحة ١٣٨. وردت نقاط مشابهة لهذه في تفسير وليم باركلث بعنوان «The Letter to the Romans» من الطبعة الجديدة المنقحة، (سنة ١٩٧٥)، من سلسلة «The Daily Study Bible Series» صفحة ٩٦.

[١٢] جي دبليو مكغارفي وفيلب بندلتون في تفسيرهما بعنوان «Thessalonians, Corinthians, Galatians and Romans»، صفحة ٣٥٣.

الشخص قائلاً: «انتظر للحظة! كان بولس يخبرنا بالكيفية التي استخدمت بها الخطيئة الناموس لتخدع الناس تجعلهم يفعلون كل أنواع الخبث! ولكنه الآن يفاجئنا بان الناموس صالح». أرجو ألا تنسى الحقيقة أن بولس كان يدافع عن الناموس في الآيات من ٧ إلى ١٢. لقد وضع الحقيقة على أن الخطيئة هي التي تقتل وليس الناموس (راجع آية ١٣). لهذا لم يتردد في التوكيد على أن «النَّامُوسُ {بحد ذاته} مُقَدَّسٌ، وَالْوَصِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ وَعَادِلَةٌ وَصَالِحَةٌ».

«النَّامُوسُ مُقَدَّسٌ {هوغيوس ἅγιος}، وَالْوَصِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ» لأن الله القدوس هو الذي أعطاهما. «الْوَصِيَّةُ ... عَادِلَةٌ {ديكايوس δίκαιος}» لأنها قويمة وعادلة بلا حد. «وَالْوَصِيَّةُ ... صَالِحَةٌ {أغاثوس ἀγαθός}» لأنها أُعطيت لمباركة البشر. الآية ١٢ هي إجابة بولس القاطعة للسؤال الوارد في الآية ٧: «هَلِ النَّامُوسُ خَطِيَّةٌ؟» كلا، بل هو «مُقَدَّسٌ» وعادل وصالح.

في الآية ١٣ نجد ملخص للآيات ٧ إلى ١٢. تبدأ هذه الآية باسلوب بولس المعروف بالسؤال والجواب: «فَهَلْ صَارَ لِي الصَّالِحُ مَوْتًا؟ حَاشَا! ...» (الآية ١٣).

شدد بولس على أن العدو الحقيقي لم يكن الناموس، بل الخطيئة (الآية ١٣). ما فعله الناموس هو الكشف عن الخطيئة وإظهار طبيعتها الحقيقية: «... لِكَيْ تَظْهَرَ خَطِيَّةً مُنْشِئَةً لِي بِالصَّالِحِ مَوْتًا، لِكَيْ تَصِيرَ الْخَطِيَّةُ خَاطِئَةً جِدًّا بِالْوَصِيَّةِ» (الآية ١٣). دعني أقول هذا بطريقة بسيطة: أُعْطِيَ الناموس ووصاياه لكي يرى الناس ويفهموا مدى سوء الخطيئة.

إلى أي حد الخطيئة خاطئة؟ انها خاطئة جداً وفاسدة جداً شريرة جداً بحيث تأخذ ناموساً مقدساً وعادلاً وصالحاً تستخدمه لأغراض غير مقدسة وغير صالحة وشريرة. كتب وليم باركلي ما يلي:

> تظهر شناعة الخطيئة في كونها تأخذ شيئاً جيداً وتحوله إلى سلاح الشر. هذا ما تفعله الخطيئة. قد تأخذ جمال المحبة وتحوله إلى شهوة. قد تأخذ الرغبة الصادقة للاستقلال وتحولها إلى الاستحواذ بالمال والسلطة ... قد تأخذ الأشياء المحببة أكثر تدنسها بلمسة تلويث[١٣].

لطف الله الفائق هي أنه قد يأخذ ما هو شرير ويستخدمه لما هو صالح (راجع تكوين ٥٠: ٢٠)، بينما شناعة الخطيئة الفائقة هي انها تأخذ ما هو صالح تستخدمه لأجل شر.

إن لم يكن الناموس هو المشكلة، إذن ما هي المشكلة؟

لقد شدد بولس أن الناموس لم يكن مصدر مشاكل البشر. وقد شدد مرة أخرة في الآية ١٤ على ذلك قائلاً: «فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ النَّامُوسَ رُوحِيٌّ ...» (الآية ١٤). رجع للحظة إلى صيغة المتكلم في حالة الجمع («فَإِنَّنَا نَعْلَمُ») لكي يضع نفسه مع الذين يقدرون الناموس كبيراً. كان الناموس روحياً (پنيوماتيكوس πνευματικός) لأن مصدره كان روح الله (پنيوما) (راجع ٢ بطرس ١: ٢١).

ما قاله بولس عن الناموس لم يقله عن نفسه: «... وَأَمَّا أَنَا فَجَسَدِيٌّ مَبِيعٌ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ» (رومية ٧: ١٤). سنتحدث عن الآية ١٤ في درسنا القادم، ولكننا شملناه هنا لوضع التوكيد على ما أراد بولس توضيحه، وهو: لم تكن المشكلة في الناموس، بل فيه هو. كانت وصايا الناموس مقدسة وعادلة وصالحة – ولكن لم يستطع أن يحفظها بالكامل. لهذا كان على الناموس أن يدينه بانه منتهك الناموس وخاطيء.

تصور انك في فصل الرسم بالألوان الزيتية[١٤]. وُضِع أمام الفصل – تحفة عظيم – وقيل لك أن ترسم مثلها صورة طبق الأصل. فمزجت الألوان وبدأت ترسم لوحتك. وفعلت أفضل ما لديك. وبرغم مما بذلته من مجهود فان تلك الصورة لا تشبه ابدا الصورة الاصلية. هل هذا يعني أن بالتحفة الاصلية عيب ما؟ كلا، فان

---

[١٣] وليم باركلي في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية بعنوان «The Letter to the Romans»؛ من سلسلة «The Daily Study Bible Series» (الطبعة المنقحة، سنة ٨٩)، صفحة ٩٧.

[١٤] يمكنك أن تتبنى هذا المثال ليتماشى حضارياً مع ثقافة المنطقة التي تعيش فيها: تصور انه طُلِب منك أن تعمل نسخة طبق الأصل لشيء يتطلب سنين من التدريب والخبرة لتصنيعه.

المشكلة فيك أنت، بسبب قدراتك المحدودة.

هكذا أيضاً كان الناموس قد وُضِعَ أمام بولس بكل قداسته وعدله وصلاحه - وقيل لبولس أن «ينسخه» (يطيعه كامل الطاعة). فبذل كل جهده، وعمل كل ما بوسعه، ومع ذلك أخفق كثيراً. لم يكن العيب في الناموس، بل في قصورات بولس.

يتعامل ما تبقى من هذا الأصحاح مع جهود بولس تحت الناموس - ومع إحباطه عندما كان يحاول أن يعمل ما هو قويم بجهوده الخاصة. تم التعبير عن هذا الإحباط في الآية ٢٤: «وَيْحِي أَنَا الإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هذَا الْمَوْتِ؟» ثم أجاب على سؤاله هذا في الآية التالية قائلاً: «أَشْكُرُ اللهَ {قد تحررتُ} بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا! ...» (الآية ٢٥).

خلاصة عملية من النص

سندرس الآيات الختامية للأصحاح السابع في درس لاحق. وأما الآن، أريد أن ألقي نظرة أخرى على الآيات من ١ إلى ١٤ وأقدم بعض الملاحظات العملية بما يختص بالمسيحي وناموس/شريعة.

كان بولس يتحدث عن ناموس موسى (راجع الآية ٧)[١٥]؛ ولكن كالعادة يكون التطبيق أوسع من ناموس موسى. يستخدم بولس أحياناً الكلمة اليونانية التي تعني «ناموس» بأداة التعريف في النص الذي نحن بصدده. (الآيات ٧ {مرتين في اللغة الأصلية}، ١٢، ١٤)[١٦] وأحياناً أخرى بدونها (الآيات ٧-٩). فلنفكر إذاً بناموس موسى بصفة خاصة وبغيره من نواميس بصفة عامة.

الناموس {أي كان} ليس رديئاً

أريد أن أذكر أولاً أن الناموس {أي كان} ليس رديئاً. الطريقة التي تحدث بها بولس عن ناموس موسى بصفة خاصة وناموس بصفة عامة في الأصحاحات السابقة قد تترك انطباع على الشخص بانه كان يقول أن الناموس {أي كان} رديء. ولكنه شدد في الأصحاح السابع على أن الناموس كان صالحاً (الآية ١٢). لم يكن الناموس خطيئة، بل انه أظهر الخطيئة (الآية ٧).

عندما يقول الطبيب أن المريض يحتاج إلى عملية جراحية عاجلة في القلب، هل الطبيب يكون سبب المشكلة الصحية لذلك المريض؟ وعندما يكشف الضوء الساطع عن الوسخ واللطخة، أهذا يعني أن النور يسبب الدمار؟ عندما أقف على الميزان ويشير الميزان إلى وزن أكبر {أو أصغر} مما يجب أن يكون وزني الحقيقي، هل هذا يعني انه يجب إلقاء اللوم على الميزان بسبب الوزن الزائد {أو الناقص}؟ شدد بولس في النص الذي نحن بصدده على أن هدف الناموس كان لإظهار الخطيئة. وهذا لا يجعل الناموس السبب في الخطيئة.

نحتاج إلى ناموس

يقول البعض أن الحل لمشكلة الخطيئة هو التخلص من الناموس الذي يكشف عن الخطيئة. ولكن إن لم يكن هناك طبيب لفحص المرض في قلب إنسان، أهذا يجعله سليماً؟ إن لم يكن هناك نور يكشف عن الوسخ والاقذار هل لا يكون للوسخ وجود؟ إذا سحقتُ كل ميزان في العالم هل يحل ذلك مشكلة السمنة التي أعاني منها؟

أوضح بولس في نص درسنا هذا باننا نحتاج إلى ناموس. نحتاج إلى ناموس بصفة عامة. كتب ريتشارد روجرز قائلاً: «يجب أن نكون شاكرين من أجل الناموس لأنه ينظم الحياة»؛ انه «يحمي الحياة»[١٧]. بدون ناموس لا يكون هناك إلا فوضى واضطراب. المجتمع الذي بلا ناموس هو مجتمع مدمر لذاته. وفوق كل هذا، نحتاج إلى ناموس الله. ناموس الله (١) يكشف طبيعة وشخصية معطيه، (٢) يعطى الحياة معنى وهدف، (٣) يرينا السبيل الذي يجب أن نتبعه ويشجعنا على البقاء في ذلك السبيل، (٤) يوضح مكافآت الطاعة

---

[١٥] تشير كلمة «الوصية» في سياق الآيات من ٧ إلى ١٣ بصفة خاصة إلى الوصية القائلة لا تشتهي.

[١٦] كلمة «وصية» المقصود بها ناموس تحمل دائماً أداة التعريف في اللغة اليونانية {كما هو الحال في العربية أيضاً} (الآيات ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣).

[١٧] ريتشارد روجرز في تفسيره بعنوان «Paid in Full: A Commentary on Romans»، صفحة ١٠١.

وعقوبات العصيان.

يتمرد الكثير من الناس على طبيعة الناموس المقيدة. ولكن نواميس الله أُعْطِيت من أجل حمايتنا. عندما كنت اعيش في المزرعة، عملت الأسرة سور حول المواشي التي كنا نربيها. وكان ذلك السور يحمي المواشي. يحمي السور العجل من الخروج إلى الشارع مما قد تصدمه السيارة، قد يمنع السور البقرة من الدخول إلى حقل الفصفصة حيث قد تأكل أكثر مما ينبغي فتمرض شديداً. لا تقبل بعض الحيوانات بالتقييد فتقفز من على الأسوار. شاهدتُ أبي في أكثر من مناسبة واحدة يغمد سكيناً في بطن بقرة أو حصان مصاب بالعرج لتخفيض الضغط في محاولة لإنقاذ حياتها.

نواميس الله صالحة وضرورية. أُعطِيت من أجل مساعدتنا وحمايتنا.

لسنا مقيدين بناموس موسى

عندما أقول «اننا نحتاج إلى ناموس»، يجب أن أُوضح ما هو الناموس الذي أقصده[١٨]. يوضح النص الذي نحن بصدده أن ناموس موسى غير ملزم على أحدٍ في يومنا هذا. قال بولس في رسالته إلى أهل غلاطية أن ناموس موسى كان قد أُعْطِيَ من أجل هدف مؤقت، وقد تمم ذلك (راجع ٣: ١٩، ٢٣-٢٥). تختلف طريقة تناوله للموضوع في الرسالة إلى أهل رومية: وضع التوكيد على حقيقة أن الناموس لا يقدر أن يخلص أحد (راجع رومية ٣: ٢٠). وفي الوقت نفسه لم يتردد في القول أن ناموس موسى غير ملزم على الناس منذ موت المسيح.

أنظر مرة أخرى في الجزء الأول من الأصحاح السابع من الرسالة إلى أهل رومية حيث قال بولس: «إِذًا يَا إِخْوَتِي أَنْتُمْ أَيْضًا قَدْ مُتُّمْ لِلنَّامُوسِ بِجَسَدِ الْمَسِيحِ ...» (الآية ٤). وقال أيضاً: «وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ تَحَرَّرْنَا مِنَ النَّامُوسِ، إِذْ مَاتَ الَّذِي كُنَّا مُمْسَكِينَ فِيهِ ...» (الآية ٦). ينسجم تعليمه هنا مع نصوص العهد الجديد الأخرى بما يختص بالحقيقة أن عهد الله مع اليهود قد أُبْطِل وأزيل (راجع كولوسي ٢: ١٤؛ أفسس ٢: ١٤ و١٥؛ عبرانيين ٧: ١١-٢٢؛ ٨: ٧-١٣؛ ٩: ١؛ ١٠: ٩ و١٠).

يقال أحياناً أنه قد أُلْغِيَت فرائض الناموس المدنية، وأما المباديء الاخلاقية للناموس فما زالت ملزمة. أسمى دوغلاس جي موو «التمييز الزمني المقَدَّر بين الناموس المدني والشعائري والاخلاقي» مشكوك فيه. قال: «لم يقسم اليهود الناموس بهذه الطريقة والدليل من كتاب العهد الجديد ضئيل أن المسيحيين الأوائل فعلوا هذا»[١٩]. هناك مشكلة أساسية فيما يختص بالتمييز المدني/الاخلاقي وهي انه خاضع للإساءة. على سبيل المثال، الاصرار بالوصايا العشر على انها قلب الناموس الاخلاقي يجعل راحة السبت ملزمة حتى في يومنا هذا (راجع خروج ٢٠: ٨-١١). من الأفضل التفكير بالمبادىء الإخلاقية الأساسية التي كانت موجودة قبل إعطاء الناموس (راجع على سبيل المثال تكوين ٩: ٦). كانت مثل هذه المبادئ مشمولة أولاً في ناموس موسى ثم بعد ذلك في عهد المسيح الجديد.

قال بولس في رومية ١٥: ٤ أن «كُلَّ مَا سَبَقَ فَكُتِبَ كُتِبَ لأَجْلِ تَعْلِيمِنَا، حَتَّى بِالصَّبْرِ وَالتَّعْزِيَةِ بِمَا فِي الْكُتُبِ يَكُونُ لَنَا رَجَاءٌ». عندما ندرس تلك الرسالة، سنتحدث عن استخدام المسيحيين للعهد القديم. فان هذ يساعدنا عادة في فهم مبادئ العهد الجديد الاخلاقية لنراها موصوفة وموضحة في العهد الجديد.

مازلنا خاضعين لناموس

يأخذ البعض تعليم بولس عن ناموس إلى حد أبعد مما قصده. يقولون: «لم نتحرر من ناموس موسى فحسب، بل ونحن متحررين من أي ناموس ديني». برغم أن هذا صحيح اننا لسنا تحت نظام ناموس/أعمال، إلا أن هذا لا يعني أن الله لم يعطينا أي ناموس لنعمل به ولا اننا لسنا خاضعين لنواميسه.

يوجد للبعض في يومنا هذا نفور شديد من كلمة «ناموس». ولكن بولس وكُتَّاب العهد الجديد الأخرون لم يترددوا في استخدام هذه الكلمة (راجع ١ كورنثوس

[١٨] لم يكن الأمم غير المتهودين ملزمين بناموس موسى، ليس ولا في زمان العهد القديم.

[١٩] دوغلاس جي موو في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية «Romans» من مجلد «The NIV Application Commentary»، صفحة ٢٢٣.

٩: ٢١؛ غلاطية ٦: ٢؛ يعقوب ١: ٢٥). علاوة على ذلك، لا يريد البعض فكرة إطاعة «الوصايا»؛ ولكن يسوع قال: «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ» (يوحنا ١٤: ١٥). ذكر بولس لأهل كونثوس أن الشيء المُهم هو «حِفْظُ وَصَايَا الله» (١ كورنثوس ٧: ١٩). أحد أهداف يوحنا من كتابة رسالته الأولى هو لمكافحة الاعتقاد بان حفظ النواميس/الوصايا غير ملزم (راجع ١ يوحنا ٢: ٣ و٤؛ ٣: ٢٢ و٢٤؛ ٥: ٢ و٣).

توجد النواميس التي نخضع إليها اليوم في عهد المسيح الجديد. هذا هو العهد الجديد الذي تنبأ به إرميا النبي (إرميا ٣١: ٣١-٣٤؛ راجع عبرانيين ٨: ٧-١٣)، العهد الذي بدأ مفعوله عندما مات يسوع على الصليب (راجع عبرانيين ٩: ١٦ و١٧).

لا يخلصنا الناموس ولا يقدر أن يخلصنا

نحن ملزمين بالنواميس الموجودة في العهد الجديد، ولكن علينا أن نفهم أنه ليس هناك ناموس (ولا حتى ناموس العهد الجديد) يستطيع أن يخلصنا. ليس من طبيعة الناموس أن يخلص. قد يكشف عن الخطيئة ولكنه لا يقدم علاجاً للخطيئة. قد يدين الخطيئة ولكنه لا يعَزِّي الخاطيء. فكر مرة أخرى في مثال النور: يكشف نور الناموس عن الثغرات والثقوب في حياتنا ولكنه لا يملاء تلك الفجوات. قد يكشف نور ناموس عن وسخ مخبأ في الأركان المظلمة في حياتنا، ولكنه لا يزيل الوسخ الراسخ.[٢٠]

[٢٠] مأخوذ من تشارلز آر سويندول في كتابه بعنوان «The Grace Awakening»، صفحة ١٥؛ ومن دي ستوارت بريسكو في تفسيره بعنوان «Mastering the New Testament: Romans» من سلسلة «The Communicator's Commentary Series»، صفحة ١٤٨.

بما أن الناموس يجعلنا ندرك إثمنا ولكنه لا يستطيع إزالة خطايانا، قد نضيف هدف آخر لناموس الله للبشر، وهو: ليجعل الناس يبحثون عن الخلاص في مكان آخر (وخاصة ليجعلنا نعرف عن حاجتنا الشديدة إلى نعمته). قال بولس أن ناموس موسى كان قد أعطيَ ليقود الناس إلى يسوع (راجع غلاطية ٣: ٢٤). الهدف من جميع نواميس الله هو بمفهوم ما توجيه الناس نحو يسوع.

الخلاصة

سنقول الكثير عن الأصحاح السابع من الرسالة إلى أهل رومية في الدرسين القادمين. لنختتم هذا الدرس ببضع أسئلة:

- هل تقَدِّر حقيقة أنه كان يهتم بك كثيراً حتى وفر لك نواميس لتوجيه حياتك؟
- هل تعرف اننا اليوم تحت العهد الجديد للمسيح، ولسنا تحت ناموس موسى؟
- هل يتضح لك الأمر بجلاء اننا لا نخلص بإطاعة نواميس، بل بنعمة الله وحدها؟
- هل تفهم ما قال يسوع انه ينبغي أن تعمل لكي تنال نعمة الله (يوحنا ٣: ١٦؛ لوقا ١٣: ٣؛ متى ١٠: ٣٢؛ مرقس ١٦: ١٥ و١٦؛ يوحنا ١٤: ١٥)؟
- هل عملت ما طلب يسوع منك؟

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩